

تقرير

شوقي عشقوني
lionbars@hotmail.comحرب أرمينيا وأذربيجان على ناغورني قره باغ
نزاع تاريخي معقد... وخطر نشوب حرب شاملة

النزاع المزمع بين أرمينيا وأذربيجان على إقليم ناغورني قره باغ يمثل عاملا من عوامل عدم الاستقرار الاقليمي والدولي، لاسيما ان امتداداته الجيوسياسية تستنفر العواصم الكبرى خشية اتساع نطاقه، وتحواله الى حرب بالوكالة بين دول تريد تصفية حسابات بعضها بعضا في اماكن وملفات اخرى



النزاع مزيج من تنافر ايديولوجي وتنافس جيوسياسي.

روسيا (ميثاق دفاعي سداسي الطرف يعتبر نسخة من حلف الناتو في اوراسيا). حتى ان روسيا تدير قاعدة عسكرية في مدينة غيومري الشمالية الغربية في ارمينيا القريبة من الحدود التركية، وفي منطقتي اربوني، كما تسيطر طائراتها على المجال الجوي الارمني.

في الواقع، تصوغ روسيا مقاربتها للنزاع وفق محددات عدة، اهمها:

- ارث روسيا التاريخي في السيطرة على المنطقة في عهدي روسيا القيصرية والاتحاد السوفياتي.

- تشكل منطقة جنوب القوقاز (ارمينيا - اذربيجان - جورجيا) بالنسبة الى روسيا عمقا استراتيجيا، وحديقة خلفية لا يمكن التفريط باستقرارها وامنها. تعتبر روسيا ضامنة للامن والاستقرار في جنوب القوقاز وحوض بحر قزوين، كقوة اقليمية عسكرية، وكدولة سيطرت تاريخيا على المنطقة.

- المنافسة على احواض الغاز الطبيعي في بحر قزوين، وخطوط مروره الى اوروبا. ◀

”
المعادلة واضحة
في القوقاز : الصراع بين
روسيا وتركيا

اردوغان يخوض
مغامرة جديدة وبوتين
امام خيارات صعبة

”
اخرى لتأجيج المنافسة الروسية - التركية واتخاذها منحى عنيفا. ثمة علاقة وثيقة بين روسيا واذربيجان، لكنها تبدو باهتة مقارنة بعلاقات موسكو الحميمة مع يريفان. اليوم، يتجاوز التحالف الروسي - الارمني اطار الارث الديني والارث العسكري السوفياتي المشترك، والتكامل الاقتصادي عبر الاتحاد الاقتصادي اوراسي، وحس التضامن في منظمة معاهدة الامن الجماعي بقيادة

- استعادة صورة تركيا القوية، اذ ترغب تركيا في الضغط على روسيا التي لها قاعدة عسكرية في ارمينيا على الحدود مع تركيا، اولا ردا على الضغط الروسي عليها في سوريا، وثانيا لاستيائها من الموقف الحيادي لروسيا من الصراع التركي مع اليونان وفي شرق المتوسط. بالاضافة الى استباق تهديدات الاتحاد الاوروبي بفرض عقوبات عليها، على قاعدة وقف العقوبات في مقابل وقف التوتر في القوقاز. علما ان تركيا تدرك ان دخولها الحرب مباشرة هو مغامرة غير مقبولة دوليا، وتفتح على مخاطر كبيرة عليها وعلى علاقاتها مع روسيا والاتحاد الاوروبي.

2- روسيا: تحاول الامسك بزمام الامور قبل خروجها عن السيطرة وتحويلها الى حرب مفتوحة في ظل التعنت الذي تبديه تركيا، واصرار كل من اذربيجان وارمينيا على مواصلة القتال، خصوصا وانه في حال لم يتم التوصل الى حل، هناك احتمال ان يتحول الصراع الارمني - الاذربيجاني الى فرصة

والاقتصادية التي تملكها اذربيجان النفطية المدعومة من تركيا. في الظاهر، النزاع على ناغورني قره باغ هو في الاساس بين دولتين لهما تنافر ايديولوجي بالغ العداء. فاذربيجان ذات تراث اسلامي بتأثير شيعي، في مقابل ارمينيا ذات تراث مسيحي بتأثير علماني. لكن في جوهر النزاع، هناك التنافس الجيوسياسي بين دول حليفة لاذربيجان وارمينيا، خصوصا تركيا وروسيا.

1- تركيا: تعد الداعم الرئيسي لاذربيجان في المنطقة، ووصلت العلاقة بين البلدين الى ذروتها، من خلال الدعم المطلق لاذربيجان في مواجهة الخطر الارمني المدعوم من روسيا، والذي شمل المناورات البرية والجوية بين الجيشين التركي والاذري، والمناورات البحرية في شرق المتوسط اخيرا، حتى انها جلبت الالاف من المرتزقة السوريين التابعين لكثائب السلطان مراد وغيرها الى اذربيجان. تحول هؤلاء الى ما يشبه جيشا موازيا للجيش التركي يستخدم غب الطلب اينما احتاجت اليه انقرة من سوريا الى ليبيا، واليوم في القوقاز. تركيا القت بثقلها في هذا النزاع لاسباب دينية وتاريخية وعرقية ومصالح اقتصادية وسياسية، اهمها:

- مشتركات الدين واللغة والعرق، اضافة الى مسؤوليتها الاخلاقية - التاريخية تجاه الشعب الاذري المستمدة من تاريخ الدولة العثمانية، فهما شعب واحد في دولتين. كما ان اذربيجان تعتبر منفذا لتركيا لاسيما من خصومها الذين يحيطون بها: روسيا - ارمينيا - ايران. تعتبر اذربيجان ذات الغالبية الشيعية - نموذجاً متمائزا

يعود النزاع الاذربيجاني - الارمني الى بداية القرن الماضي، عندما الحقت السلطات السوفياتية ناغورني قره باغ، الذي تسكنه غالبية ارمينية، باذربيجان. غير انه اعلن استقلاله عام 1991، بدعم من ارمينيا، لتلي ذلك حرب ادت الى مقتل 30 الف شخص ونزوح مئات الالاف. اقليم قره باغ كان يقع داخل حدود اذربيجان، واكثرية سكانه من الارمن الذين سيطروا عليه عام 1991 بعد تمزق الاتحاد السوفياتي. كذلك سيطرت القوات الارمنية، مدعومة من مرتزقة روس، على ستة اقصية اذربيجانية في جوار الاقليم، ما اضطر سكانها، وعددهم نحو مليون نسمة، الى الهرب الى جوار العاصمة باكو، فيما تم ترحيل الالاف من الارمن الذين كانوا يسكنون في باكو ومدن اخرى الى ارمينيا التي لا يزيد عدد سكانها على 3 ملايين، في مقابل 9 ملايين هم عدد سكان اذربيجان الان.

على الرغم من توقيع اتفاق لوقف اطلاق النار عام 1994، وقيام وساطة روسية - اميركية - فرنسية تحت اسم مجموعة مينسك، لا تزال الاشتباكات المسلحة المتقطعة قائمة، وكان اهمها تلك التي جرت في نيسان 2016 وادت الى مقتل 110 اشخاص. فشلت جميع المساعي الاوروبية والروسية والاميركية والاممية، طيلة الفترة الماضية، في التوصل الى حل لمشكلة الاقليم الذي كان يتمتع بحكم ذاتي داخل حدود اذربيجان في العهد السوفياتي. لم يحالف الحظ الارمن في قره باغ في اقناع العالم بالاعتراف بهم ككيان مستقل، او في ضم اقليمهم الى ارمينيا التي تفتقر الى الامكانيات العسكرية

تركيا تريد ان تكون شريكة لروسيا في لعب الدور الاكبر في المنطقة. اضافة الى تهديدات اردوغان، في اثناء افتتاحه سد ريحانلي على الحدود مع سوريا في لواء الاسكندرون، بانه اذا لم يتم تطهير سوريا من الارهابيين، اي حزب العمال الكردستاني، فان تركيا ستفعل ذلك بنفسها. وهي رسالة الى روسيا في لحظة الاشتباك الاقليمي في القوقاز، وما يعنيه ذلك من اعتبار ليبيا وسوريا والقوقاز حوضا مشتركا للاشتباك - التعاون بين روسيا وتركيا، والاثمان التي قد يقدمها كل طرف للاخر في لحظة التفاوض.

الولايات المتحدة تستفيد من انفجار الصراع في القوقاز، لأن هدفها الاساسي ارباك روسيا اينما امكن. لذا وقفت مع تركيا في ليبيا وفي سوريا، لاسيما في شرق الفرات. فهي لا تبذل اي جهد للدفاع عن قره باغ وارمينيا، بل يذهب العضو في مجلس الامن والسياسة الخارجية في الرئاسة التركية برهان الدين دوران الى القول، ان الغرب يجب ان ينظر الى التدخل التركي في سوريا وليبيا والقوقاز على انه عنصر توازن مع النفوذ الروسي.

مع تواصل الاشتباكات في ناغورني قره باغ وتصادد احتمالات تحولها الى حرب شاملة، تبرز تساؤلات في شأن الصمت الاميركي غير المعتاد، الذي يرجعه مراقبون الى اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الاميركية. لكن الامر قد يحمل دلالات اكثر عمقا في شأن الدور الاميركي على المسرح الدولي. هذا الغياب شكل تراجعاً للدور الاميركي على المسرح الدولي منذ وصول الرئيس دونالد ترامب الى البيت الابيض، ورفع شعار اميركا اولاً.

مع بدء الحرب بين اذربيجان وارمينيا في 27 ايلول الفائت، ارتفعت اصوات معظم قادة العالم بضرورة وقف اطلاق النار، والعودة الى طاولة المفاوضات برعاية مجموعة مينسك المؤلفة من روسيا وفرنسا والولايات المتحدة. كما طالب مجلس الامن، باجماع اعضائه، بوقف فوري لاطلاق النار. لكن كل هذه النداءات بقيت في الهواء واستمرت المعارك، بل ازدادت حدة وعنفا واتساعا.



تركيا تريد استعادة صورتها القوية بالضغط على روسيا.

ناغورني قره باغ

اقليم ناغورني قره باغ يعني قره باغ الجبلية باللغة الروسية. كانت هذه المنطقة تسمى ارتساخ وهي كلمة مركبة باللغة الارمنية، ومعناها غابة الالهة آرا. بعد حروب عدة على ارتساخ الارمنية من مجموعات السلاجقة والتتر والتركماني والفرس في القرن الرابع عشر، وبعد استيلائهم عليها، غيّر الغزاة اسم ارتساخ الى قره باغ (يعني الكرمة السوداء باللغة التركية)، ليغيروا هوية الارض التاريخية. بات الارمن يعيشون في ارضهم على الرغم من الحروب الدامية والمستمرة بينهم وبين جميع سكان منطقة اذربيجان، الى ان انضمت اراضي ارتساخ الى روسيا القيصرية عام 1813.

عام 1913، وبسبب الخلافات الحدودية، ضم جوزف ستالين منطقة قره باغ الى منطقة اذربيجان واعلن مدينة باكو عاصمتها ثم اعطاها حكماً ذاتياً، مما سبب خلافات بين سكان قره باغ الارمن وسكان اذربيجان الذين هم من مختلف الاعراق والطوائف، وكانوا خليطاً من الترك والسلاجقة والتتر والفرس الذين اتوا من مختلف المناطق مثل تركيا وبلاد الفرس. عام 1988 زادت الخلافات ودارت معارك عدة بين سكان قره باغ وسكان اذربيجان، وقد استطاع الارمن تحرير منطقة قره باغ التاريخية. عام 1994 تم التوصل الى هدنة من خلال مجموعة مينسك التي تضم الولايات المتحدة الاميركية وروسيا وفرنسا.

لكن عينه الاولى ستظل على الداخل التركي وكسب اصوات اضافية هو في امس الحاجة اليها في صراعه للفوز بمعركة الرئاسة بعد استن، وربما قبل ذلك. ان الصراع هناك بين روسيا وتركيا، وان



باندلاع الحرب ارتفعت اصوات قادة العالم بضرورة وقف النار والعودة الى المفاوضات.

يعني ذلك استمرار الامور على هذا النحو. اذ ان دور تركيا كان حاسماً في محاولة تغيير قواعد اللعبة في جنوب القوقاز عبر دعمها السياسي والعسكري واللوجستي الكامل لاذربيجان.

وسيكون في امكان الرئيس التركي، رجب طيب اردوغان، ان يخرج مزهواً بانه حقق تقدماً بالنقاط في معركة ارادها في الاساس. فقد غيّر الجيش الاذربيجاني في الوقائع على الارض لصالحه، وهو مكسب لاردوغان وللأسلحة التركية التي استخدمها ذلك الجيش، لا سيما الطائرات المسيّرة والطائرات من دون طيار التي اربكت وانهكت سماء قره باغ وسماء ميادين القتال. هذا الامر سيزيد اعتماد اذربيجان على صادرات السلاح التركي، وسيفتح امام انقرة سوقاً مهمة لصناعة السلاح.

سيقطف الرئيس التركي رجب طيب اردوغان بالتأكيد ثمار المعركة، حتى وان لم تنته بعد. فالمؤشرات كلها لا تشير الى رغبة روسية في التدخل العسكري. وسيحاول اردوغان ترجمة ذلك مساومات مع روسيا في اماكن اخرى ايضا، مثل سوريا وليبيا.

صمت اميركي مرده الى اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الاميركية

الاقل، او ان تتدخل وتغامر بخسارة علاقاتها المستجدة التي حاكتها على النمط الايراني ببطء، على مدى سنوات مع اذربيجان، وما يحمله ذلك من احتمالات تفجر بؤرة صراع دموية تخمر المنطقة وتخلق لروسيا افغانستان جديدة، فضلاً عن تعريض علاقتها ومصالحها مع تركيا للترزع.

نجحت روسيا في ان تكون اللاعب الاول والقوة الاولى في القوقاز الجنوبي، من دون تقاسم هذا الدور مع انقرة او احد آخر، وذلك من خلال رعايتها، بمفردها، اجتماع موسكو لوقف اطلاق النار بين وزيرى خارجية ارمينيا واذربيجان، من دون ان

تعتبر ارمينيا شريكة استراتيجية لروسيا، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. - التأثير الارمني الكبير في الداخل الروسي حيث قدر الاحصاء السكاني في روسيا عام 2002 عدد الارمن فيها بـ 1.3 مليون شخص، بينما يتجاوز عددهم وفق بعض الدراسات الحديثة المليونين، ما يجعل الجالية الارمنية في روسيا الاكثر عدداً بين بقية الجاليات الارمنية الاخرى.

- يعتبر النفوذ الروسي في منطقة جنوب القوقاز موازناً مهماً للدور التركي ومن خلفه الاميركي والاوروبي، فضلاً عن اعاقته تواصل تركيا مع الجمهوريات التركية في اسيا الوسطى. - يتكامل الوجود الروسي العسكري في ارمينيا مع وجودها العسكري في جورجيا وعلاقتها الاستراتيجية المتنامية مع ايران، ضمن منظومة موسكو الجيوبوليتيكية.

ينطلق الرئيس التركي اردوغان في حساباته من ان روسيا في وضع محرج جداً في العلاقة مع دول القوقاز وقواها النافذة. فموسكو عملت في السنوات الاخيرة بجهد كبير من اجل استمالة اذربيجان والتخفيف من التصاقها بالولايات المتحدة. فممنذ وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الى السلطة وهو يعمل على سياسة التقريب بين بلاده واذربيجان، وقد نجح في ذلك الى حد كبير. كما ان الشركات النفطية الروسية الكبيرة، مثل غاز بروم ولوك اويل وترانس - نفت، تعمل في اذربيجان ولها علاقات شراكة مع شركة النفط الوطنية الاذربيجانية سوكار. ايضا فان روسيا، اضافة الى اسرائيل وبيلاروسيا، بائع رئيسي للأسلحة الى اذربيجان. لذا فانه في حال اندفعت موسكو للانحياز الكامل الى جانب يريفان، فهذا سيطيح مكتسبات روسيا من العلاقات الجديدة مع باكو.

لا شك في ان الجانب الروسي قد عانى من ارباك واضح في الايام الاولى، مكتفياً بالدعوة الى وقف اطلاق النار. لم تقف موسكو، كما هو تاريخياً وتلقائياً مع يريفان، فقدت بعضاً من التطلعات الارمنية التقليدية اليها. كانت روسيا بين خيارات صعبة: الا تتدخل فتفقد ولاء ارمينيا المعنوي لها على